

الصحراء والذكورة في السرد الجزائري (رواية مملكة الزيوان للزيواني أنموذجا)

The Desert and Masculinity in Algerian Narratives
(Zaiwani's novel "Mamlakat Alziywani" as a Model)

د. زيدان صونية

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة، sounia.zidane@univ-tebessa.dz

تاريخ الإيداع: 2025/07/01

تاريخ المراجعة: 2025/08/26

تاريخ النشر: 2025/10/01

ملخص:

يستحضر السرد الجزائري ثنائية الرجل/المرأة، ويكشف مختلف التناقضات التي تحكمها، وإذا كانت الصورة النمطية المتعارف عليها هي خضوع الأنثى لسلطة الذكر في ظل تهميش واختزال متعمد، فإن هذه الرؤية برزت بشكل واضح في واحدة من الروايات الجزائرية الصحراوية ممثلة "بمملكة الزيوان" للزيواني، أين تحرّم المرأة من حقوقها المتعارف عليها، لذا فإن هذه الدراسة تحاول استقصاء مظهرات هذه الثنائية في جانبها السلبي والسوداوي أين ينظر الرجل إلى المرأة كآخر وبدونية، إلا أن الأمر هنا نحو الانفراج واستشراف مستقبل أفضل لهذه الثنائية.

الكلمات المفتاحية: الرجل، المرأة، السرد الجزائري، الصحراء، الذكورة، الأنوثة.

Abstract:

The Algerian narrative evokes the duality of man/woman, and reveals the various contradictions that govern it. If the accepted stereotype is the female's submission to male authority in the light of deliberate marginalization and reduction, then this vision emerged clearly in one of the Algerian Sahrawi novels, represented by "The Kingdom of Ziwan" by Ziwan, Where women are deprived of their conventional rights. Therefore, this study attempts to investigate the manifestations of this duality in its negative and dark side, where men view women as 'the other' and inferior. However, the matter has moved towards a breakthrough and anticipating a better future for this duality.

Key words: man, woman, Algerian narrative, desert, masculinity, femininity.

*المؤلف المراسل

تقديم:

إن الفضاء الصحراوي المتسع والمفتوح على التنوع الثقافي والاجتماعي يحاول أن يؤثّر لكينونته ووجوده من خلال الروايات الصحراوية الجزائرية التي تحاول استيعاب، واحتواء كل هذا التميز والتفرد لتحضر بذلك على ساحة الإبداع العربي، وتفرض نفسها؛ فالكتابات الصحراوية لم تكن بقدر الفضاء الذي تعكسه، ورغم ذلك سعت بعض الأقلام إلى تسليط الضوء على تاريخ الصحراء وهويتها وذاكرتها، بل وراحت إلى أبعد من هذا التصور حين وجهت الأنظار للأنما الصحراوية بكل تمظهراتها أمام الآخر الذي يجهلها، أو لنقل رسم صورة مغايرة لها (تصحيح رؤى).

ولعل الروائي الجزائري الصديق حاج أحمد في روايته البكر "مملكة الزيوان" يعرض لنا نصا صحراويا خاصا في عاداته، وتقاليده، تفكيره، مكانه، زمانه، إن الكاتب في هذا العمل الروائي المتميز يحاول نقل عوالم الصحراء ومملكة الزيوان نقلا أميناً (الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية لأهل توات).

يريد الزيواني لهذه الرواية الخلود حين ربطها بالأبعاد التاريخية والثقافية للإنسان التواتي وتجربته في الحياة؛ إنها صورة إبداعية عن عالم الصحراء الزاخر بالتراث والخصائص الاجتماعية الأمر الذي يضمن استمراريتها عبر الأجيال.

تحدث الكاتب في روايته عن صورة اجتماعية سائدة ونمطية اجتمعت على تشكيلها عدة عوامل لعل أهمها الجهل والتخلف الذي جعل من عادات بالية تسيطر على مجتمع بأسره، وتقف في وجه القيم الإسلامية السامية المسكوت عنها هناك، وإن ما زاد الوضع تأزما هو الموجة الاستعمارية التي حاولت خلخلة ثوابت الشخصية الجزائرية.

إن إقصاء الأنثى والخط من شأنها أمر بارز في الرواية؛ فهناك تمجيد للذكورة على حساب الأنوثة، فالمرأة مازالت محافظة على صورتها النمطية المتعارف عليها من زواج وإنجاب وطبخ... إنها تفني زهرة شبابها في خدمة الرجل، في حين أن الذكورة كانت ممثلة بالشخصية الرئيسية لمربط - الذي يعد المحرك الرئيسي للأحداث وبقية الشخصيات تدور في فلكه - "فلسفة المجتمع وطبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها جعلت الأسرة تميز بين البنين والبنات، وذلك بتفضيل الذكور عن الإناث"¹، وهذا يدعونا للتساؤل حول الأنماط التي تحضر بها ثنائية الذكر والأنثى في الرواية، وعن طبيعة العلاقة بين الرجل (الذكورة)، والمرأة (الأنوثة).

أولا: سيرة ذاتية للروائي:

الصديق حاج أحمد المدعو بالزيواني، الأديب المولع بالصحراء في كل كتاباته واهتماماته الإبداعية، ولد يوم 19 ديسمبر 1967، بزاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار أين تلقى تعليمه القرآني هناك، تحصل على البكالوريا سنة 1986، والليسانس سنة 1990، والماستير سنة 2003 والدكتوراه سنة 2010، وهو حاليا أستاذ التعليم العالي لمقياس اللسانيات وفقه اللغة بجامعة أدرار منذ 2005.

تقلد عدة مهام منها نائب عميد كلية الآداب واللغات، ورئيس تحرير مجلة "أصداء الجامعة" ليتفرغ بعدها للتدريس والبحث والإبداع.

شارك في العديد من الملتقيات الدولية والوطنية، إضافة إلى أنه نشر العديد من المقالات العلمية في مجلات محكمة دولية ووطنية، له عمود أسبوعي قار بجريدة الجمهورية تحت عنوان "ثرثرة من الجنوب"، كما أن له إسهامات دائمة في مجلات عربية، وهو حاليا مدير مخبر الفضاء الصحراوي في مدونة السرد الجزائري بجامعة أدرار، من أعماله نذكر:

- رواية مملكة الزيوان.

- رواية كاماراد.

- رواية منا... قيامه شتات الصحراء.

- رحلاتي لبلاد السافانا.

ثانيا: ملخص الرواية:

هناك في قصبة القصر الطيني حيث تعانق أشعة الشمس حبيبات الرمل، وحيث تنفتح أبواب الصحراء على عوالم زاخرة بالتعدد والتنوع، الاتفاق والاختلاف، يضعنا الكاتب في مملكة عتيقة تملك من العادات والتقاليد ما يؤهلها لأن تكون حاضرة في قلب كل من يعيش فيها أو يقرأ عنها، إنها "مملكة الزيوان" التي تتوزع على أربع عشرة فصلا، وكل فصل فيها سمي زقاقا، إن الرواية عبارة عن سيرة ذاتية للكاتب، وتاريخ لمنطقة من مناطق الجنوب الجزائري "نوات".

يستهل الكاتب روايته بالحديث عن حلم أمه بإنجاب الذكر بعد سلسلة أحمال فاسدة، ولم يسعف الحظ العائلة في أن يكون الولد البكر ذكرا بل كان أنثى "مريمو" التي لقيت من الاختزال والتهميش ما لقيت.

لقد بدأ الكاتب يسرد سيرة حياته فتفنن وأبدع في ذكر التفاصيل منذ أسبوع الولادة، وما أقيم فيه من ولائم وتسمية وطقوس، تحدث بعد ذلك عن رضاعته وتماثله للجلوس ثم المشي، لتتوالى الأحداث وتنتقل بنا إلى طقوس الختان والوليمة التي أعدتها العائلة احتفالا بهذه المناسبة، إضافة إلى دخوله للمدرسة القرآنية إلى وقت الالتحاق بالمدرسة الابتدائية وبداية مزاولة الدراسة هناك، ليتم تعليمه المتوسط ويتوج تعليمه الثانوي بشهادة البكالوريا. وفي خضم هذا التطور في الأحداث أشار الروائي إلى الثورة الزراعية في القصر الطيني وتأثيرها على الأهالي، وخاصة عائلته التي تبخر حلمها بالإرث الذي تركه الأجداد من فقاقير، مطامير وسباخ... أين تساوى السيد مع الخماس الذي أصبح ملاكا واستغنى عن خدمة الأسياد، كما أن هذه الثورة الزراعية خلقت خصاما بين عائلة لمرابط والدا علي، هذا الخصام الذي زادت حدته وأدى إلى الانفصال بين العائلتين.

كما أشار الكاتب لحدث مهم هو عودة ابن عمه الغيواني الذي يعيش رفقة عائلته بتونس ، وابنته أميزار التي سلبت فؤاده ، فراح يهيم بها ويكتب لها الرسائل ، ويزيد تقربه من عائلتها مما أثار انتباه العائلتين ، كما يسرد لنا انتقاله للعاصمة ليدرس تخصص التاريخ بالجامعة، وهناك بدأت أواصر المحبة وروابط الصداقة تعود مع الدا علي شيئا فشيئا، وبعد التخرج أصبح أستاذا للتاريخ في ثانويات أدرار، لقد عاد محملا بثقافة وأفكار أهله لأن ينظر إلى كل العادات والتقاليد في منطقته نظرة مغايرة ومختلفة، هذه النظرة فيها رغبة في التغيير والتجديد، غير أنه لاحظ أن سكان القصر قد خلعوا عباءة القديم ، وبدأت نسائم الحداثة تلمح وجوههم، إلا أن ما قلب نفسية الكاتب وحاله في نهاية الرواية هو خسارته لأميزار التي اختارت المال مع الدا علي، وضحت بالحب والمشاعر الصادقة.

ثالثا: سميائية العنوان:

اختار الكاتب " مملكة الزيوان " كعنوان لروايته، وهو متكون من لفظتين شديدي الارتباط والاتصال بالبيئة الصحراوية التي كتب عنها وفيها، " فالعنوان للكتاب كالاسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول يشار به إليه ويدل به عليه يحمل وسم كتابه وفي الوقت نفسه يسمه، العنوان بإيجاز يلزم البداية علامة ليست من الكتاب جعلت له لكي تدل عليه"²، وبهذا فعنوان الرواية يحمل دلالات تاريخية ثقافية مرتبطة بمكان الرواية توات.

إن المملكة اسم غير متداول في الصحراء، لذا فهذا اللفظ مفتوح على التعدد الدلالي؛ فقد يقصد به تلك الواحات المحاطة بالرمال، النخيل وأسوار الطين، ويمكن أيضا أن تدل اللفظة على سيرة متخيلة لمملكة ومملك منتظر (لمرابط) لتصبح بذلك المملكة رمزا للثبات والاستقرار.

ويشير الزيوان باللهجة التواتية المحلية لعرجون التمر اليابس الذي يقطع من النخيل، وربما يراد به الإنسان التواتي الأصيل الذي يسكن المنطقة والمتميز بالعراقة، كما يمكن أن تعني اللفظة فترة الخصب والنماء وجني الثمر، وهذا وطيد الصلة بالتطور والحداثة التي وصلت إليها توات وما تبع ذلك من تغير رؤى وذهنيات، وتحطم لبعض الأعراف والتقاليد التي تقف في مواجهة حادة مع القيم الإسلامية السامية.

يريد الكاتب تخلص توات من الأوهام التي يعيش فيها أهلها بغية رسم تاريخ صحيح وحقيقي، لتكتسب بذلك الذاكرة الجماعية التراثية صفة الحضور بعد الغياب والتهميش، فالحياة المعقدة والصعبة جعلت مظاهر مقبلة تطفئ على المجتمع التواتي، فبناء وعي جديد يتعلق بالهوية التواتية أمر لازم.

إن الكاتب مرتبط بتوات محب لتاريخ مملكته، يوصي الجيل الجديد بالمحافظة على تاريخهم وتراثهم " إن أرض الزيوان، هي قلادة ثقيلة في أعناقكم، لها من الحمولة التاريخية، والزخم الثقافي. المادي والشفوي. ما يجعلكم تفتخرون بطينها، وقصباتها، ورمليها، ونخيلها، وفقايرها."³

يريد الكاتب بالأجيال المستقبلية أن تنظر للأمام ولا تلتفت إلى ما فات، وأن الحضارة اليوم قد أتاحت لهم، والفاصل هو كيفية الاستفادة من إيجابياتها دون الانسلاخ عن التراث والانهار بمتغيرات الحضارة مع تبليغ الأمانة للأجيال اللاحقة.

لقد اعتمد الكاتب تقنية الاسترجاع لما استرجع الأحداث الماضية وجعلها حاضرة، فاستعاد بذلك محطات حياته، وحياء القصر والزيوان منذ لحظات الولادة، إنه يريد أن يكون مؤرخا لسيرة ذاتية أكثر منه روائيا فهو يستذكر ذاكرة وتاريخ مملكة الزيوان.

رابعا: صورة المرأة (الأنوثة) في الرواية:

يحولنا السياق الاجتماعي للرواية إلى تمييز واضح بين الذكر والأنثى، فنجد أن عائلة لمرابط كانت تريد أن تكون الولادة الأولى ذكرا وذلك لاعتبارات اجتماعية تتعلق بحمل اسم العائلة أو الإرث، وفي هذا الصدد يرى صالح مفقودة أن الزوجة وكل الأقارب في المجتمعات العربية يرجون " أن يكون المولود ذكرا لأنه الأقوى في مجتمع لا يمكن إلا بالقوة الجسدية، ولأن الطفل هو الحامل للقب الأسرة والوريث لها في مجتمع ذكوري، فقلما نجد احتفالا بالأنثى، وإن وجد فهو محصور في نطاق ضيق لدى أسرة معينة وقد يكون لديها عدد من الذكور، وتريد التنوع فقط " ⁴، إن هذا الأمر جعلهم يتطيرون عند إنجاب البنات الأمر الذي يستوقفنا ويعيدنا للعصر الجاهلي، العصر الذي وئدت فيه الأنثى، وحرمت حقوقها يقول الله تعالى: " وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت " سورة التكويد الآية 8-9، وفي هذا الموضوع يضيف نبيل فارق بقوله " على الرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرنا هجريا على عصر الجاهلية، ومن أننا نتنسم روائح القرن الحادي والعشرين، مازالت الأنثى تستقبل، وهي تطلق صرخاتها الأولى في الحياة ككائن زائد غير مرغوب فيه، ومازال العديدون في معظم البلدان العربية - إن لم يكن كلها - يستقبلونها بوجه مسود وهم كاظمون، على عكس الذكر التي يتلقفه الجميع في فرحة عامرة، حمل الخير كل الخير بمولده... " ⁵.

وإذا كان الدين الإسلامي قد جاء ليتمم مكارم الأخلاق، فإنه جاء أيضا ليلغي مثل هذه الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي تلغي الإنسانية والحق في الوجود " فالمرأة لا تعامل على قدر المساواة لأي شيء سوى كونها امرأة في المجتمع الذي ينظم شؤونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته " ⁶. وبهذه الرؤية يستغل الرجل كل السلوكات والمعايير لصالحه دون السماح للمرأة بذلك، فهو مثال للقوة والعقلانية أما المرأة فهي رمز للضعف والعاطفية والسلبية، " فأن يكون الفرد امرأة يمكن أن يعني " بطبيعة الحال " أن تكون لطيفة ومحبة للرعاية، أو بعبارة أخرى أن تكون " مؤنثة "، وأن يكون الفرد رجلا يشمل بطبيعة الحال نوعا ما من القوة والنشاط والفعالية - أن يكون " مذكرا " " ⁷.

ويقدم لنا الروائي صورة الأخت مريم على أنها تعيش المعاناة بسبب العادات التي تسيطر على العائلة والذهنيات المتخلفة، فلقد كان عليها أن تعيش على الهامش وتخضع لإرادة الذكر لكونه مركز المجتمع وعنصره الفعال، إن اسم مريم هو تصغير لاسم مريم الذي يحيلنا دينيا إلى مريم بنت عمران التي ورد ذكرها في عدة

مواضع في القرآن الكريم فهي رمز العفة والصبر ولأنه كما يقال " لكل امرئ من اسمه نصيب " فقد حكم على مريم أن تتجرع غصص الجهل والبوار والحرمان من الميراث وهذا يفترض منها أن تتعلم فنون الصبر، تقول الأم عن ابنتها " مسكينة بنتي مريم، أصابها أكثر ما أصاب ولدي هذا؛ لكن عمتها لم تقلق ولم تلتفت لوجعها، ولا لبكائها وإن ما كانت تتعلل به دائما في نظرتها غير الرحيمة لمريم، أنها لا تغلق الدار ولا ترث"⁸. نلاحظ من خلال هذا المقتطف من الرواية أنه حتى نظرة المرأة للمرأة تتفق ونظرة الرجل لها، إنها تنظر إليها كآخر؛ فالعمة نفوسة تمارس هي الأخرى التهميش والإلغاء لشخص مريم مع أنها أنثى مثلها، لقد أصابها عوى الأعراف الممجة للذكورة، " فأن يكون المرء ذكرا يعني أن يكون إنسانا، وأن تكون المرأة أنثى يعني أن تكون آخر -شيئا عاجزا عن الإحساس "⁹.

إن العمة نفوسة تعلمت من مجتمعي الانقياد والانسحاق لإرادة الذكر الذي وضعها في مرتبة دنيا، كما أنها فهمت جيدا وضعها المهمش، لذا فهي تسعى لأن تثبت نفسها وتنقذ شخصيتها طارقة كل الحلول فانتظارها للمولود الذكر مع الأم بإمكانه أن يسد النقص الذي يعتريهما، هذا النقص الذي لا يزول مع إنجاب البنات بل سيزداد الأمر حدة وتعقيدا، إن النساء كما تقول سيمون دي بوفوار " مازلن يحملن من خلال أحلام الرجال "¹⁰.

ويصف الروائي أمه أثناء ميلاد مريم وهي تستذكر ضياع السباح، القواريط والفقاقير " كان من سواد طالعيها، أن ولدت في الحمل الثالث أختي مريم، وبالرغم من أن البنت غير مرحب بها في قصورنا يومها، لكونها لا ترث ما حبس من الميراث، إلا أن أمي سرها ذلك على كل حال، لعاطفة أمومتها "¹¹، نجد في هذا المقتطف حضور عاطفة الأمومة رغم الهواجس والوساوس التي تعتريها بعد خروج مريم إلى الدنيا، لأن وجودها غير مرحب به فالجميع كان ينتظر الذكر، ويستطرد الروائي حال والده وعمته نفوسة " وإن كانت تدرك تحسر عمتي، وتأسف أبي، وتنكر أعمامي، وابتهاج زوجاتهم، لافتراض حرماننا من الميراث "¹². إن الأم قبل ميلاد الوريث كانت تعيش مأساة الانتظار، والخوف من المستقبل وما يخفيه، فأن تحمل المرأة ذكرا معناه أن " تحقق كثيرا من الامتيازات، منها الخطوة الزوجية، والمكانة المرموقة والمستقبل المضمون في بيت الزوجية والاستعداد للمستقبل بهذا المولود الذي سيكون رجلا يؤمن حياة الأم بعد أن تعرضت للهوان أو ما شابه ذلك "¹³.

لقد استسلمت مريم لمصيرها وقدرها، وتحملت ذلك، الأمر الذي جعل وجودها سلبيا في الرواية فلا نكاد نجد لها أي تفاعل إيجابي، ويواصل الروائي التأكيد على اختزال مجتمعه لدور مريم لأنه يدرك فضاة هذه العادات التي نغصت حياتهم وشوّهت صورة مجتمعهم، " غير أنها لم تحض بتلك العناية والحضوة التي حظيت بها في مراحل طفولتي الأولى، بالرغم من أنها الولد البكر للبيت "¹⁴.

وبهذا لخصت الأم حال ابنتها مريم وتربياتها من بنات القصر، بمثل شعبي مشهور عندهم " البنت عندنا كي الرقبة، موكولة أو مدمومة "¹⁵، إن هذا المثل يعبر عن البنت غير المحظوظة في المجتمع، فهي تشبه لحم الرقبة الذي يؤكل رغم أنه غير محبوب إذا ما قورن بلحم الأكتاف والأضلاع والفخذ، فمريم وتربياتها فقدن الأمل في الزواج أو الإرث لأنهن قليلات حظ.

1- الحرمان من التعليم:

لقد حرص الإسلام على تعليم المرأة شأنها في ذلك شأن الذكر بغية إصلاح المجتمع والوصول به إلى التطور والازدهار؛ فصالح المرأة مرتبط بصالح أسرتها نقصد بذلك دورها الفعال وتأثيرها الإيجابي في تربية أطفالها، إلا أن الأمر مختلف كثير في اعتقاد سكان القصر الوسطاني فالتعليم عندهم عادة مجلوبة من الكفار ودينهم، أما أبائهم وأجدادهم فلم يكن لهم سابق صلة بهذا الأمر الذي اعتبروه دخيلا على المجتمع.

إن توات لم تتقبل أبدا تعليم البنات وبنيت أحكامها على حجج لا أساس لها من الصحة، وليس لها أي صلة بالدين لكن في الوقت نفسه لم يتأخر سكان المنطقة في إرسال أبنائهم الذكور إلى المدارس، وكأن التعليم حكر عليهم، يقول الروائي عن تعليم البنات " أما تعليم أختي مريمو، وتربيتها من بنات القصر، فأياك أن تتحدث عنه ؛ لأن تعليمهن بالمدرسة ، كان ينظر إليه على أنه أمر محرم وفي أحسن الأحوال ، وبعد هداية الآباء، واستغفارهم لربهم، كانوا يسمحون لهن بتعلم القرآن في الكتاب، حتى يبلغن حزب ياسين أو فوكة قليلا " ¹⁶ ، إن تبعية مريمو لسلطة الذكورة وتحملها لكل أنواع الظلم والتسلط جعلها تأخذ وضعا مثيرا للشفقة، " لقد كانت المرأة وما تزال " الآخر الداخلي "، آخر الهامش والظل والعتامة، وذلك بحكم هيمنة قيم ومعتقدات وسلطات ومؤسسات وثقافة متحيزة تتعامل مع المرأة جسدا، وصوتا وكتابة، بنوع من الحذر والريبة والدونية " ¹⁷.

لقد حملت بداية الثمانينات معها الحداثة والحضارة لأهالي قصبة القصر الطيني من تعبيد الطرقات ووصول أسلاك الكهرباء، كما غيرت من الشخصية التواتية القديمة التي خلعت عباءة القديم ولبست كل ما هو جديد فبدأت أسراب التلميذات والفتيات يقصدن المدارس يقول الروائي " فبدأ الآباء يقتنعون رويدا رويدا في الدفع بأبنائهم الذكور نحو المدارس كما بدأ البعض النادر منهم يقتنع تدريجيا بتدريس البنات حتى مستوى السادسة اللهم إلا قلة قليلة منهم ضلت متحجرة متمسكة لما كان عليه الآباء والأجداد، بمن فيهم أعمامي الكبار

18 //

ويبدو أن والد مريمو كان ممن أصابه الندم والتحسر على عدم تعليم ابنته، ويظهر ذلك جليا عندما سألتها أميزار القادمة من الشمال عن تعليم مريمو، وهنا أجابها " ذلك زمان وهذا زمان " ¹⁹ ، وهنا إشارة إلى تغير الذهنيات وإيمانها بالجديد وكلفها به، ورغم ذلك دفعت الثمن غاليا حياتها ومستقبلها، فلقد كتب عليها الجهل والبوار، وهذا الوضع قد أرق الأب وأدخله في غياهب الندم " عندها زفر والدي زفرة ساخنة، وقال في مرارة أمريمو جنى عليها الزمان وتحبب السباح " ²⁰

2- الحرمان من الميراث:

تظهر الرواية تناقضا واضحا بين العادات والتقاليد التواتية وقيم الدين الإسلامي، فسيطرة المتعارف عليه في المجتمع وقف عائقا أمام ترسيخ تعاليم الدين، ولعل أخطرهما ظاهرة حرمان المرأة من حقها في الميراث الذي يكرس أفضلية الرجل على المرأة، ويحافظ على السلطة الذكورية التي تؤهلها للقيادة، وفرض السلطة. " وقد ظل تحيز الذكورة لأنفسهم واستئثارهم بالجانب السلطوي، هي المشكلة التي تتحرك في جسد المجتمعات العربية

بقصد أو غير قصد. الأمر الذي أدى إلى إغفال دور المرأة وحقوقها في التعبير عن وجودها وإسهامها في إعطاء صورة ديمقراطية مشرقة نابعة من ثقافتنا " ²¹.

ويبدو أن الروائي أثار هذه المسألة لأنه يعلم حقيقة تشبع أجداده بالثقافة الدينية إضافة إلى العادات والتقاليد في منطقة توات، لكن ما ينكره هو سر سكوت الأهالي ورجال الدين والمشايخ عن كثير من العادات التي تمس بالمعتقد خاصة مسألة إرث البنات الذي تسبب في بوار الكثيرات، وحرمانهن من حقهن الطبيعي في تأسيس عائلة بالزواج وإنجاب الأطفال.

إن مجيء الإسلام قلب الموازين في شبه الجزيرة العربية وأعاد للمرأة مكانتها وأقر حقها في الميراث، وبهذا أصبح الإرث يشترك فيه كل من المرأة والرجل يقول عز وجل " للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا " النساء الآية 7، إن هذا يثبت حق المرأة في الميراث قليلا كان أو كثيرا، ومن هذا المنطلق ترى نوال السعداوي أن المرأة العربية في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم " كانت أكثر إنسانية وأكثر آدمية من المرأة العربية اليوم " ²². وهذه الرؤية سليمة فالإسلام حفظ للمرأة ما لها وما عليها بنصوص واضحة سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة، ولا ننسى أن نذكر أن المرأة كانت وصية الرسول ﷺ حين قال: " استوصوا بالنساء خيرا "، وتضيف السعداوي في موضوع قمع الأنوثة في ظل ضغط النسق الذكوري، تقول " إن إهدار الأهلية الآدمية للمرأة إنما هو اعتداء على أوامر الله وعلى مبادئ الدين الذي يدعو إلى الحق والحرية واحترام الإنسان " ²³.

ويقول الروائي عن بوار مريم بسبب حرمانها من الإرث: " أختي مريمو المسكينة التي دفعت الثمن غاليا ببوارها وعدم تعليمها وفي الأخير عدم زواجها، لكونها طوبة والطوبة لا ترث ما حبس من الميراث، رغم جمالها الفاتن المختلط بين نطفة المرابطيين وبويضة الشرفاء " ²⁴.

إن مجتمعا يعيش على رواسب الماضي وسجين لعادات وتقاليد بالية جعله يمارس ضغوطات من سلطات عدة الابن، الأب، الأخ... على الأنثى التي حرمت من حقها في الإرث، هذا الأخير الذي يعد سببا للبقاء والخلود عندهم بل حتى الوريث سمي باسم الجد الذي خلف وراءه السباخ، الفقاقير والمطامير، ويقول الروائي عن الإرث " لكون تركتنا قد حبست من الجد الأكبر للذكور دون الإناث " ²⁵ ويقول الأب أيضا للحاضرين يوم السبوع " لقد أسميته على والدي لمرابط، وهو فأل يتبرك الرجل باسم أبيه، قصد عض المسى على تركة المسى عليه، من السباخ والفقاقير، والمطامير والزيوان... " ²⁶.

ومما وجد في نص تحبيس تركة الجد الأول المرابطي بالقصر الطيني الوسطاني، بعد سطر البسملة والحمدلة والتصلية ما نصه " هذا عقد حبس مؤبد، ووقف مخلد، عقده السيد البركة كبير المرابطين بالقصر الوسطاني على أولاده الذكور دون الإناث ومن سيوجد من أحفادهم الذكور، إن قدر الله تعالى، وذلك في كامل بساينته، وسباخه، وأسهمه في الفقاقير " ²⁷، إن هذا النص يحتكر التركة ويخصصها للأحفاد الذكور، ويحرم الإناث منها اللواتي لم يرتكبن أي ذنب في الحياة سوى أنهن ولدن كذلك، أن تولد أنثى في المجتمع التواتي معناه أن

هناك ذنب عظيم يستلزم أن تدفع ثمنه حياة كاملة من التهميش والظلم والقهر...وكان "شرائع وقوانين الميراث لا تضمن وصول التركة كلها إلى الأبناء، إلا لو كان فيهم ذكر على الأقل، أما في حالة عدم وجوده، فثلث الثروة يذهب حتما إلى الآخرين..."²⁸

إن رؤية سائدة في مجتمع تواتي أقرب إلى النسق الجاهلي حرمت المرأة حقوقها، وأغرقتها في بحر من السلبية، وبهذا فإن "قهر الرجل للمرأة كان أحد أقبح وجوه الحضارة"²⁹

فما حملته نسائم الديمقراطية من شعارات تدعو إلى الحرية والمساواة، وطرح مشكلة هوان المرأة في المجتمع العربي، وضرورة الإسراع بإيجاد الحلول كونها تمثل ركنا أساسيا لبناء المجتمع إلا أن الرجل استطاع "عن طريق التعليم المحدود الذي حصل عليه أن يكون رصيذا ثقافيا كأداة لإيجاد وضعية مادية داخل الترتيب الاجتماعي، مما جعل منه قوة قمع مسلطة اتجاه المرأة"³⁰.

خاتمة:

نخلص في نهاية البحث إلى جملة من النتائج:

- تعبر رواية "مملكة الزيوان" عن تجذر النسق الذكوري في اللاوعي الجمعي لأهالي القصر الطيني.
- ترسيخ النظرة الدونية للأنثى في اللاوعي الجمعي للمنطقة، لذا فإنجاب المرأة للذكر يعتبر فوزا وحظا كبيرا.
- تعرض المرأة في المجتمعات العربية للظلم والتهميش والاختزال خاصة في القرى والمناطق النائية.
- يساهم الكشف عن الواقع المرير للمرأة والذي جعلها تغرق في السلبية، والواقع الذي يقدر ويمجد الذكر في تخليص وعي المجتمع من هذا التراجع الفكري والتصلب الذهني.
- إن الزيواني أحب الصحراء بكل ما فيها فسكنت قلبه، وألهمته وراحت تأخذه إلى اكتشاف عوالمها وأسرارها، لذا فهو دائم البحث والتقصي والتوثيق لها.

البيبلوغرافيا:

أ- المصادر:

- الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، دار فيسيرا، الجزائر، ط1، 2013.

ب- المراجع:

- بام مورييس، الأدب والنسوية، تر، سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002.
- رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، دار افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002.
- سارة جاميل، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، تر، أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002.
- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، الجزائر، ط2، 2009.
- محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1998.

- نبيل فاروق، المرأة مشكلة صنعها الرجل، المبدعون للنشر والإعلام، مصر، دط، دت.
- نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، دط، 2017.
- نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، دط، 2007.

- ¹ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، الجزائر، ط2، 2009، ص 39.
- ² محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر دط، 1998، ص 15.
- ³ الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، دار فيسيرا، الجزائر، ط1، 2013، ص 14.
- ⁴ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائري، ص 39.
- ⁵ نبيل فاروق، المرأة مشكلة صنعها الرجل، المبدعون للنشر والإعلام، مصر، دط، دت، ص 25.
- ⁶ سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، دراسات ومعجم نقدي، تر، أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002، ص 13.
- ⁷ بام مورييس، الأدب والنسوية، تر، سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002، ص 37.
- ⁸ الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، ص 43.
- ⁹ المرجع السابق، ص 63.
- ¹⁰ بام مورييس، الأدب والنسوية، ص 48.
- ¹¹ الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، ص 19، 20.
- ¹² المصدر نفسه، ص 20.
- ¹³ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 39.
- ¹⁴ المصدر السابق، ص 20.
- ¹⁵ الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، ص 43.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص 73.
- ¹⁷ نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، دط، 2007، ص 1.
- ¹⁸ الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، ص 116.
- ¹⁹ المصدر نفسه، ص 133.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص 133.
- ²¹ نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، ص 1.
- ²² نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، دط، 2017، ص 209.
- ²³ المرجع نفسه، ص 209.
- ²⁴ الصديق حاج أحمد (الزيواني)، مملكة الزيوان، ص 11.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص 16.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص 30.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص 16.
- ²⁸ نبيل فاروق، المرأة مشكلة صنعها الرجل، ص 26.
- ²⁹ رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، دار افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 44.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص 44.